العبد المحبوب والعبد المبغوض

إن لكل عمل ثمرات؛ والثمار من جنس الشجر؛ فمن كان عمله مما يحبه الله تعالى ويرضاه أحبه الله، ومن كان عمله مما يبغضه الله تعالى ويكرهه أبغضه الله.

وليس الشأن أن تحب الله، بل الشأن أن يحبك الله فتحصل على الخير والسعادة والفوز والنجاة والحب والقبول في الدنيا والآخرة. ويا بئس مصير من يبغضه الله تعالى؛ فهو خاسر مبغوض في الدنيا والآخرة.

إن مصير العبد المحبوب من الله وجزاؤه في الآخرة معروف، فالله -عزَّ وجلَّ- يدخله إحدى الدرجات المختلفة من الجنة، ويزيده من رضوانه بالنظر إلى وجهه تبارك وتعالى، وكذلك مصير العبد المبغوض من الله وعقابه في الآخرة معروف كذلك؛ إذ سيكون صاحب درك في النار، وعذاب من نوع خاص بحسب عمله. ولكن ما هو مصير المحبوب والمبغوض في الدنيا وما هي ثمرات حب الله أو بغضه للعبد؟

العبد المحبوب

إذا أحب الله عبدًا وضع له القبول في الأرض[1]: إن من يحرص على الإتيان بكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال ويداوم على ذلك حتى يحبه الله، فإن الله تعالى إذا أحبه دعا جبريل أن يحبه وكذلك أهل السماء أن يحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم ينادي جبريل في**

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٧/٣-١٤٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤٦٢/١٠، ٤٦٢/١٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٧/١١-١٠٨، وفيض القدير للمناوي ٢٤٧/١.

السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»[1].

فمن ثمرات حب الله للعبد القبول في الأرض وهو قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه واعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن.. فلا تكاد تجد أحدًا إلا مائلاً إليه مقبلاً بكليته عليه؛ وإذا أحب الله عبدًا استنارت جهاته وأشرقت بنور الهداية ساحاته وظهرت عليه آثار الإقبال وصار له سيما من الجمال والجلال فنظر الخلق إليه بعين المودة والتكريم ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[2]. ويؤخذ من الحديث أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، ويؤيده قوله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»[3].

وفي هذا الحديث تأنيس العباد وإدخال المسرة عليهم؛ لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده وتحقق بكل خير، وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ** ﴾[4]، وأما من في نفسه رعونة وله شهوة غالبة فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب.. ويؤخذ من هذا الحديث الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها، ويؤخذ منه أيضًا كثرة التحذير عن المعاصي والبدع؛ لأنها مظنة السخط.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾[5]؛ إذ يعطي الله سبحانه المؤمن الألفة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين. فيجعل الله تعالى له في قلوب العباد مودة، لا يلقاه مؤمن إلا وقره، ولا مشرك ولا منافق إلا عظَّمه. وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٣.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله -عزَّ وجلَّ- لمتابعتها الشريعة المحمدية -يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه.. قال مجاهد: سيجعل لهم الرحمن ودًا قال محبة في الناس في الدنيا. وقال سعيد بن جبير: يحبهم ويحببهم يعني إلى خلقه المؤمنين. وقال العوفي عن ابن عباس: الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق. وقال قتادة: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا أي والله في قلوب أهل الإيمان. وقال قتادة: وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: ما من عبد يعمل خيرًا أو شرًا إلا كساه الله -عزَّ وجلَّ- رداء عمله.

قال الحسن البصري: قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أُذكر بها، فكان لا يُرى في حين صلاة إلا قائمًا يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم، فمكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال: لا أراني أُذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله -عزَّ وجلَّ- فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانًا الآن.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبرئيل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه، فينادي في السماء، ثم تُنزلُ له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾**»[1]؛ وإذا كان العبد محبوبًا في الدنيا فهو كذلك في الآخرة؛ فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمنًا تقيًا، ولا يرضى إلا خالصًا نقيًا؛ جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.

إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا[2]: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء**»[3]؛ وقال ﷺ: «**إن الله تعالى ليحمي**

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٢٨.

(٢) راجع: فيض القدير للمناوي ٢٤٦/١، ٢٦٠/٢-٢٦١، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٥٩/٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٥٩.

عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»[1].

إن الأطباء تحمي شرب الماء في بعض الأمراض؛ والله -عزَّ وجلَّ- إذا أحب عبدًا حماه، أي؛ حفظه من متاع الدنيا ومناصبها وحال بينه وبين ذلك بأن يبعده عنه ويعسر عليه حصوله فحال بينه وبين نعيمها وشهواتها ووقاه أن يتلوث بزهرتها لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها ويألفها ويكره الآخرة كما يمنع الرجل مريضه من شرب الماء إذا كان يضره.. فهو جلَّ اسمه يذود من أحبه عنها حتى لا يتدنس بها وبقذارتها ولا يشرق بغصصها، كيف وهي للكبار مؤذية، وللعارفين شاغلة، وللمريدين حائلة، ولعامة المؤمنين قاطعة، والله تعالى لأوليائه ناصر ولهم منها حافظ وإن أرادوها.

وكذلك الأطباء تمنع المريض من تناول بعض الأطعمة إذا كانت تضره وتزيد من مرضه؛ والله سبحانه يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أهل المريض مريضهم من الطعام الذي يؤذيه خوفًا عليه من زيادة مرض بدنه بتناوله، والله تعالى إنما يحمي عبده لعاقبة محمودة وأحوال سديدة مسعودة. فما تقول في الطبيب الحاذق المحب إذا منع مريضه شربة ماء وسقاه شربة دواء كريه، أقصده إيذاء مريضه؟ بل هو نصح وإحسان لما علم أن في إعطاء مريضه ما يشتهيه من الطعام والشراب زيادة مرضه وربما هلاكه وموته. والغرض من التشبيه بيان كمال الاعتناء والشفقة والمحبة.

إذا أحب الله قومًا ابتلاهم[2]: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**»[3].

إذا أحب الله قومًا ابتلاهم بأنواع البلاء حتي يمحصهم من الذنوب، ويفرغ قلوبهم من الشغل بالدنيا غيرة منه عليهم أن يقعوا فيما يضرهم في الآخرة،

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨١٤.

(٢) راجع: فيض القدير للمناوي ٢٤٦/١.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٠٦.

وجميع ما يبتليهم به من ضنك المعيشة وكدر الدنيا وتسليط أهلها ليشهد صدقهم معه وصبرهم في المجاهدة، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1].

إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق**»[2].

إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق؛ لأنه تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. والرفق سبب كل خير، ومن يُحرَم الرفق يُحرَم الخير. ويُدخل عليهم الرفق ليثيبهم عليه ما لا يثيب على غيره، وليعطيهم عليه في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي الآخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. وقد قال النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إلا شانه**»[3].

العبد المبغوض

إذا أبغض الله عبدًا وضع له البغضاء في الأرض:

إن من يرتكب ما حرم الله من الأقوال والأفعال ويداوم على ذلك حتى يبغضه الله، فإن الله تعالى إذا أبغضه دعا جبريل أن يبغضه وكذلك أهل السماء أن يبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله... إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**»[4].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: إذا أحب الله عبدًا وضع له القبول في الأرض.

ومن ثمرات بغض الله تعالى لعبده شقاوته وعقابه، والرفض في الأرض وهو رفض القلوب له بالبغض والكره وعدم الميل إليه وعدم الرضا عنه واعتقادهم فيه الشر وعدم إرادتهم الخير له، فلا تكاد تجد أحدًا مائلاً إليه أو مقبلاً عليه. وإذا أبغض الله عبدًا أظلمت جهاته وانطمست بظلام الضلالة ساحاته وظهرت عليه آثار الإعراض وصار له سيما من القباحة والحقارة فنظر الخلق إليه بعين البغض والاحتقار.

تراه فاحشًا متفحشًا نُزع منه الحياء من الله تعالى ومن الناس، وإذا نُزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا مبغوضًا بين الناس كثيرًا مغضوبًا عليه عندهم، فإذا لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا نُزعت منه الأمانة وأُودعت فيه الخيانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنًا مخوَّنًا فيما جُعل أمينًا عليه منسوبًا إلى الخيانة بين الناس محكومًا له بها عندهم نُزعت منه الرحمة ورقة القلب والعطف على الخلق، فإذا نُزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيمًا ملعَّنًا مطرودًا عن منازل الأخيار ودرجات الأبرار ويلعنه الناس كثيرًا نُزعت منه ربقة الإسلام[1].

قال أحدهم: ما عصيت الله أو أغضبته في شيء إلا وجدت ذلك في خُلُق زوجتي وخُلُق حماري. فلا زوجة تطيعه ولا حمار ينقاد له؛ وهكذا بقية أمور العبد المبغوض الذي يرتكب كل ما يبغضه الله تعالى أو يكرهه من الأقوال والأفعال.

وبما أن البغض ضد الحب فيقال في المبغوض من الله تعالى عكس كل ما قيل عن العبد المحبوب من الله تعالى.

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٢/٢٠٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. لا يسعني في هذه الخاتمة إلا أن أحمد الله تعالى على إعانته لي على تأليف هذا الكتاب وخروجه إلى الوجود بعد أن لم يكن على البال.

وأسأله جل شأنه هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد الرحمن الرحيم أن يرحمنا برحمته، وأن يجعلنا من الذين يحبهم، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه من القول والعمل حتى يحبنا، وأن يحببنا إلى من يحبهم ويحببهم إلينا، وألا يجعلنا من الذين يبغضهم، وأن يوفقنا على تجنب ما يبغضه من القول والعمل حتى يرضى عنا، وأن يُبغِّض إلينا فيه كل مَن يبغضه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

عدنان الطرشة

www.adnantarsha.com